الخارجي، فكتب: «ان خلق دولة جديدة ليس عملية سخيفة، او مستحيلة. ألَم نشاهد اتمام هذه العملية في عصرنا بين أمم لم تكن تطغى عليها صبغة الطبقة الوسطى، كما هو الحال بالنسبة الينا (أي اليهود)، بل كانت افقر منّا، وأقل ثقافة، ممّا جعلها اضعف منّا. ان حكومات الدول كافة، التي تعاني من حركة العداء للسامية، سوف تهتم كثيراً في الحصول على السيادة لنا»(٥٢).

ليس من قبيل المصادفة، اذاً، عقد المؤتمر الصهيوني في بازل، في العام ١٨٩٧. فتوقيت ولادة الحركة الصهيونية انما حدث في حقبة تحوّل الانظمة الرأسمالية في اوروبا الى مرحلة الامبريالية الساعية الى كسب نفوذ خارج اوروبا. فهي (أي الصهيونية) وليدة الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية في اوروبا، وهي، بالتالي، ثمرة عصر الامبريالية، سارت في ركابه وتوجهاته، والتقت اهدافها بأهدافه، منذ قيامها وحتى وقتنا الحاضر. «لقد ولّد النظام الرأسمالي المسألة اليهودية، ثمّ تحالف مع الصهيونية في عصر امتداده الاستعماري الواسع لحلها حلاً يخدم مصالحه الاستعمارية في الخارج، ومصالح البرجوازية في الداخل بواسطة تهجير المنافس، او ذبحه، لا فارق بالنسبة اليه»(٥٣).

كان القصد من هذا العرض اظهار زيف المقولات الصهيونية حول العداء التاريخي لليهود بالتركيز على اللاسامية التي دفعت هرتسل، بسبب محاكمة درايفوس، الى الصهيونية، من جهة، ولاظهار حقيقة ولادتها الناجمة عن تبدل الاوضاع الاجتماعية ـ الاقتصادية في غرب، وشرق، اوروبا، وبروز الامبريالية والاقتداء بها والسير في ركابها. يبقى ان نشير الى تحالف الصهيونية مع غلاة اللاسامية لتحقيق الهدف الامبريالي الصهيوني، والذي تبدو فيه، ظاهرياً، مفارقة، لكنه، واقعياً، لم يكن غريباً ولا مستهجناً ما دامت الصهيونية، منذ نشأتها، ترمي الى تحقيق هدفها، مهما كانت السبل. وأوجه التوافق بين غلاة اللاسامية، النازيين، وبين الصهيونية ذاتها، كثيرة ومتعددة.

أوجه التقارب في المبادىء والممارسات

ظهرت الصهيونية في القرن التاسع عشر، في مرحلة التوسّع الامبريالي، حين ساد في الفكر الاوروبي تياران رئيسان. تميّز الاول بالايمان بالاخوّة الانسانية؛ ونادى الثاني بالنقاء العنصري والتمييز بين الشعوب، من حيث اصلها العرقي. وقد آثرت فئة من اليهود الاتجاه الثاني القائم على نقاء العنصر(٥٤).

وتماشياً مع التيار الاوروبي العنصري حول النقاء العنصري والاصل السلالي، وهذه المقولة ساقطة علمياً، وموضوعياً، كتب هرتسل في كتابه «الدولة اليهودية» مماشياً المقولات اليهودية التوراتية، وهو العلماني: «ان الفضل الاول والاخير للحفاظ على اليهود ' كشعب واحد وجنس محض خالص ' يرجع الى قوانين الزواج التي كانت عثرة في سبيل تداخل السلالات». ومن المعروف ان الزواج المختلط محرّم اليوم في اسرائيل، مثلما هو محرّم في جنوب افريقيا(٥٥).

فابراهيم، أول الآباء المتقدمين، حرّم على ابنائه الزواج من الكنعانيات. «لكن في قدومه أكثر ممّا في هجرة الراعي بحثاً عن المراعي الخصيبة. فاقامته تتخذ في الذاكرة القومية أهمية قومية ومعنوية منذ ابرام العهد مع الذات الالهية. هذا العهد غدا عنصراً مقدماً في التراث كما لو ان الشعب قد وعى انه سوف يحوّل مسار تطوّره المقبل بين الامم. فالشعب، بعد ان كتب عليه ان يصبح شعباً من الكهنة وامة مقدّسة يحمل ميزته هذه مزهوّا بها...»(٥٦).

وحارب عزرا، احد انبياء التوراة، الزواج المختلط، وطالب بتطليق الاغيار، وشدّد على